

افتكاك الهوية الزنجية عند فرانز فانون

د. نبيل مسيعد

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باجي مختار. عنابة، nabil.meciad@univ-annaba.dz

تاريخ القبول: 2026/01/08

تاريخ المراجعة: 2025/11/12

تاريخ الإيداع: 2025/04/11

ملخص

بعد دراسة متأنية قام بها فرانز فانون لأهم الأعمال الفكرية والأدبية التي طرحها أصحابها، في إطار الدراسات ما بعد الكولونيالية، ونظرية الزنوجة مستهدفين نشر الوعي بين صفوف الأفارقة، وحثهم على التمسك بهويتهم وثقافتهم والاعتزاز بشخصيتهم. تبين له أنها لم تسفر إلا على مزيد من الاضطهاد والاستغلال لهذا الجنس من البشر. لهذا فكر في إيجاد أسلوب مغاير يُرغم الاستعمار الأوروبي على الاعتراف بوجودهم، ويفرض على العنصريين التعامل معهم وفقا لمبدأ المساواة. فكانت نتيجة تفكيره هي دعوة الزنوج لاستعمال العنف بكل أشكاله لنيل الاعتراف، وافتكاك التقدير والاحترام بالقوة، وكان متأثرا في ذلك إلى حد كبير بالأسلوب الذي انتهجه الثوار في الجزائر لطرده الاستعمار، وهذا ما نسعى للإحاطة به في هذا المقال.

الكلمات المفتاحية: فرانز فانون، زنوج، استعمار، عنصرية، هوية.

*Frantz Fanon and Taking Back Black Identity***Abstract**

After a careful study conducted by Frantz Fanon about the main intellectual and literary works within the post-colonial studies and the theory of Negritude, aiming at spreading awareness and urging Africans to adhere to their identity, culture, and pride, he found that these efforts caused further oppression and exploitation. This led Fanon to seek ways to force colonialism to recognize their existence and to ask for equal treatment from racism. As a result, he called for Negroes to use violence to gain recognition and respect. Fanon was influenced by the Algerians' methods of resisting colonialism, which we aim to clarify in this article.

Keywords: Frantz Fanon, negroes, colonialism, racism, identity.

ليس من السهل تحديد بداية معاناة الزوج، لكن مأساتهم الكبرى كانت مع بداية عصر الاكتشافات الجغرافية في القرن السادس عشر، حيث اندفع الأوروبيون بقوة نحو إفريقيا بحثاً عن الذهب، وبفضل تحكّمهم في الملاحه، وامتلاكهم للأسلحة المناسبة، أحكموا سيطرتهم بشكل شبه كامل عليها. ومنذ ذلك الزمن وحتى النصف الثاني من القرن العشرين عرف الزوج فيها كل أنواع الظلم والاستغلال.

ومع بداية حركات التحرر في العالم، وانتشار الأفكار الداعية إلى الانعتاق، ظهر من الزوج كُتاب وشعراء حملوا على عاتقهم مهمة نشر الوعي بالحرية لدى السود، وإقناعهم بأن مصيرهم بأيديهم. ومن هؤلاء الرواد كوامي نكروما، وليبولد سيدار سينغور، وإيمي سيزار، وفرانز فانون. وفي هذه المقالة سنركز على المجهود الذي قدمه هذا الأخير في سبيل النهوض بإفريقيا، والانتصار للزوج، باعتباره واحدا منهم، وكان شاهداً على معاناتهم في أماكن مختلفة في إفريقيا وأوروبا، بالإضافة إلى ما كان يصله من أخبار مؤلمة حول واقعهم في أماكن كثيرة من العالم. وكان يأمل في أن الأعمال الفكرية التي قام بها رواد ما بعد الكولونيالية وأنصار نظرية الزنوجة، قد تساهم في نقل معاناتهم لمصادر القرار في الهيئات والمحافل الدولية، لكن تبين له أن هذه النظريات لم تنزل إلى الواقع، بل ظلت حبيسة الكتب، وأحيانا كان ضررها أكبر من نفعها.

لهذا فكر فرانز فانون في طريقة أفضل لمواجهة العنصرية والتصدي لاستغلال الزوج، فلم يجد إلا العنف طريقاً لذلك، وهذا بعد اتصاله المباشر بحركات التحرر في إفريقيا خاصة جبهة التحرير الوطني الجزائرية، وما شاهده لدى الثوار من قدرة على إرغام العدو على الخضوع والاستسلام، ذلك لأنهم خاطبوه باللغة التي يفهمها، ألا وهي العنف. فشرع في نشر الوعي والتأكيد على أن ما أخذ بالقوة لن يعود إلا بالقوة. وعليه سنعمل في هذه المقالة على إبراز موقف فرانز فانون من مسألة الاعتزاز بالهوية الزنجية، وكيفية الدفاع عنها، من خلال الإجابة على هذه المشكلة: كيف يمكن للزوج إعادة الاعتبار لأنفسهم والاعتزاز بهويتهم عند فرانز فانون؟

1- مفهوم الزوج:

1-1- لغة:

يحيينا غالباً البحث عن المعنى اللغوي للزوج في اللغة العربية إلى ورد في لسان العرب لابن منظور، ففي مادة زنج، تشير كلمة الزوج عنده إلى الناس القاطنين في شرق إفريقيا ويعرفون باسم السودان⁽¹⁾. وبالعودة إلى التراث العربي يتبين أن كلمة الزوج لم تكن مستعملة في الشعر الجاهلي، وأول ظهورها كان مع شعراء العهد العباسي، كما غابت هذه الكلمة عن كتب المتنون. وهذا يعني غالباً أن اللفظ غير عربي. وبالفعل نجد من يرد الكلمة إلى أصول فارسية. فكلمة زنج بفتح الزاي أو كسرهما مقبسة من كلمة زنك الفارسية، ومعناها الحبشة، وتطلق عندهم على الأرقاء السود الذين يؤتى بهم من شرقي إفريقيا خصوصاً الحبشة للعمل في الأراضي الزراعية. أما الكلمة التي كانت مستعملة في التراث العربي للتعبير عن هذه الفئة من الناس، فهي كلمة السودان كما سنرى عند الحديث عن واقع الزوج في العالم الإسلامي.

والزنج أو الزوج يقابلها في أغلب اللغات الأوروبية كلمة *negro*، وهي كلمة شرع في استعمالها في إسبانيا بداية من القرن السادس عشر. وتتحد من الكلمة اللاتينية *niger* وتعني اللون الأسود، ثم لاحقاً أصبحت تطلق على الإنسان ذي البشرة السوداء⁽²⁾. إلا أن هناك من يرد كلمة *nèger* الفرنسية إلى موقع جغرافي وهو نهر النيجر، أين كان البرتغاليون يصطادون العبيد، ويطلقون عليهم هذا الاسم، لأنهم يقطنون بجوار هذا النهر.

2-1- اصطلاحا:

أصبحت كلمة الزنوج تستعمل لدى البحارة والتجار البرتغاليين كلفظ مقابل للعبيد، لتنتشر بعدها بهذا المعنى في أوروبا، ويقصد بها جنس بشري بشرته سوداء يستقر قسم كبير منهم في إفريقيا، وبعضهم في الهند وجنوب شرق آسيا، والبعض الآخر في أمريكا الجنوبية. وعادة ما تُنسب لهم صفات لا تليق بكرامة الإنسان، وينسحب هذا الكلام على بعض الآراء في العالم الإسلامي⁽³⁾. وبالمقابل ثمة من ينسب لهم صفات إيجابية مثل قوة البدن، والشجاعة، والكرم الوافر، وحسن الخلق، وقلة الأذى، وضحك السن، وطيب الأفواه، وسهولة العبارة، وعذوبة الكلام⁽⁴⁾.

2- الزنوج في الفكر الإسلامي:

كانت العبودية متفشية في الحضارات القديمة لدواعٍ اقتصادية واجتماعية، وكان العبيد يشكلون المورد الأساسي للطاقة، فيستعملون في كل المجالات التي تتطلب القوة العضلية. ففي بلاد الإغريق كان الرق ممارسا على نطاق واسع، لدرجة أن مدينة أثينا رغم ديمقراطيتها كان معظم سكانها من العبيد⁽⁵⁾. ولم تكن العبودية ظاهرة محدودة في اليونان، بل كانت جزءا أساسيا في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والإدارية، حيث اعتمد اليونانيون، على العبيد في كل مجالات الحياة⁽⁶⁾. ولعل موقف الإغريق من العبيد نجده مختصرا في الحكم الذي أصدره أرسطو في حقهم، فهو يعتبرهم مجرد آلات. ولا ينبغي أن ينصرف الذهن هنا إلى الزنوج، لأن العبيد في اليونان كان أغلبهم من ذوي البشرة البيضاء يؤتى بهم من شمال اليونان وشرقها⁽⁷⁾. أما تواجد الزنوج فيها فكان نادرا. وعلى النقيض من ذلك كان حضورهم في بلاد الإسلام بارزا، خاصة بعد وصول الإسلام لما وراء الصحراء الكبرى جنوبا. وكان التعامل معهم أحيانا لا يتفق مع روح الإسلام التي تتبذ التمييز على أساس العرق واللون.

ففي كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، لابن عبد المنعم الحميري في نهاية القرن الخامس عشر للميلاد، نقرأ نصا يكشف عن السائد بين المسلمين حول السود حيث كتب: للعرب في قلوب الزنج رعب عظيم ومهابة، فلذلك متى عاينوا رجلاً من العرب تاجراً أو مسافراً سجدوا له وعظموا شأنه⁽⁸⁾. وأورد المؤرخ السعودي في تاريخه قصة منسوبة لأحد السلف وهو طاووس اليماني صاحب عبد الله بن عباس، أنه كان لا يأكل من ذبيحة الزنجي، لأنه عبد مشوه الخلقة. وذكر أيضا السعودي أن أبا العباس الراضي بالله ابن المقندر بالله، كان لا يتناول شيئا من أسود، ويقول إنه عبد مشوه خلقه⁽⁹⁾. وفي كلا الموضعين الزنجي غير مرغوب فيه عند هؤلاء خاصة قبل الإسلام.

2-1- الزنوج في الجاهلية:

كان ذُكرُ الزنوج أو السودان قبل الإسلام في الجزيرة العربية مقترنا بالحبشة وسيطرتها على اليمن، وصراع الحميريين لاسترداد اليمن، وأشهر حادث عرفه العرب في هذا الصدد هو هجوم النجاشي على الكعبة. وفي المجمل لم يكن وضعهم في الجزيرة العربية مريحا، ويصدق هذا أيضا على السودان العرب⁽¹⁰⁾، وكانت معاناتهم تزداد حسب درجة لون البشرة، وقد تكون محنة عنتر بن شداد أفضل مثال.

إنه أحد أشهر فرسان العرب في الجاهلية وشعرائها، وكان من أحسن العرب شيمة ومن أعزهم نفساً، يوصف بالحلم على شدة بطشه. وقد انتشر هذا الانطباع حول عنتر فيما بعد بين المسلمين. إلا أن سواد بشرته الذي ورثه عن أمه، منعه من الاندماج في مجتمعه، وحث عليه بذل جهد مضاعف لتخطي هذه العقبة. لكنه كان غالبا

يصطدم بواقع معاد للزنج، لم يتردد في أن يطلق عليه إلى جانب شعراء سود آخرين لقب أغربة العرب، كناية عن سواد بشرتهم، وهو اللقب الذي حفر عميقا في نفسه الأبية، ولم يجد ما يرد به إلا قوله:

لئن أك أسود فالمسك لوني وما لسواد جلدي من دواء

محاولا بذلك تتكئ هذا الاعتداء وحجب سواد جلده عن أعينهم، بالكشف عن قدراته في الفروسية والشعر⁽¹¹⁾. وسواء نجح عنتر في ستر سواده أم فشل، فإنه من الواضح أنه كان واقعا تحت سيطرة التمثل العربي السيئ للزنج، والذي يصل لدرجة النبذ أحيانا. هذا بالنسبة لعنتر العربي النسب، فما بالك بالزنجي غير العربي الذي قُذِف به قدره في وسط لا تربطه به أي علاقة، وسط استقر في خلد الكثير من أفراده أن الأسود عبد، ولا يحق له الارتقاء إلى مكانة من هم أكثر ميلا إلى اللون الأبيض، ولحسن الحظ جاء الإسلام ليخفف من وطأة التمييز ضد هذه الفئة من الناس.

2-2- الزنج في بلاد الإسلام:

جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ الحجرات.13. ونُقِل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى⁽¹²⁾. انطلاقا من هذه الآية الكريمة، وهذا الحديث الشريف، يمكن التعرف على موقف الإسلام من الزنج وغيرهم. إنه يُعلي من قيمة الإنسان بصرف النظر عن جنسه ولونه⁽¹³⁾. وهو التوجه الذي وجد انطبعا طيبا لدى المستضعفين في قريش، فتعلقوا بالدين الجديد الذي أعلن دون مواربة عن احترام وجودهم وحفظ كرامتهم، دين الإسلام الذي أنقذ سيدنا بلال بن رباح من العبودية وحرره ليكون سيدا للمسلمين ومؤذنا للرسول صلى الله عليه وسلم.

إن الإسلام يقف على مسافة واحدة من البشر، ومقياسه هو التقوى كما تقدم، لكن مع هذا فإن ذوي البشرة السوداء المتواجدين على أراضيه، ومع مرور الزمن، أخذ نصيبهم في الكرامة يتقلص، ومن ذلك المحنة التي تعرض لها الشاعر سحيم عبد بني الحساس. وهو أحد الشعراء المُجيدين. لكن عبوديته وسواده حَالًا بينه وبين الاندماج الطبيعي مع غيره من المسلمين، وكرد فعل على الصد الذي اصطدم به من إخوانه في الإنسانية والدين، انتقم لنفسه عن طريق التشبيب بنسائهم وبناتهم، وكان مصيره الإعدام⁽¹⁴⁾.

وزدادت معاناة الزنج في العالم الإسلامي مع بداية الدولة الأموية، وتفاقم وضعهم أكثر في زمن الدولة العباسية⁽¹⁵⁾. لقد عرف المسلمون في هذه الدولة وضعا اقتصاديا مريحا، فتحولت إلى قبلة للمهاجرين الزنج الباحثين عن حياة أفضل، مثلما يفعل أحفادهم في زمننا هذا عندما يغامرون بحياتهم، ويركبون أهوال البحر نحو أوروبا⁽¹⁶⁾. وأجد مبالغة في القول أن صيادي العبيد في إفريقيا كانوا يستعملون القوة في جلب العبيد إلى بغداد، والأقرب إلى الحقيقة أن الأفارقة وصل إلى أسماعهم حياة الرغد في حاضرة العلم آنذ بغداد، فسعوا برغبتهم إلى القدوم إليها، ولا استبعد أنهم كانوا يدفعون أموالا مقابل نقلهم إلى بغداد.

لكنهم اصطدموا هناك بواقع مؤلم، فكانوا يتعرضون لأبشع أنواع الاستغلال، وامتهان كرامة الإنسان من طرف أصحاب الأراضي وسيخ الملح في البصرة، وعلى ضفاف نهري دجلة والفرات. فكانت هذه المعاملة السيئة من العوامل الأساسية التي دفعت الزنج للانخراط في الحركات الاحتجاجية، والثورات ضد الدولة العباسية، وأشهرها ثورة الزنج، التي قال عنها طه حسين في كتابه ألوان: ثورتان كانت إحداها في إيطاليا أثناء القرن الأول قبل

المسيح بقيادة سبارتاكوس، والثانية كانت في العراق أثناء القرن الثالث للهجرة، بقيادة عبد الله بن محمد. وقد عرضت أولهما الجمهورية الرومانية كلها لخطر عظيم. وعرضت ثانيهما الخلافة الإسلامية كلها لخطر عظيم، وأبدى تعاطفه معها، مؤكدا أنها كانت رد فعل ومظهرا من مظاهر المطالبة بالعدل الاجتماعي في بغداد. ويرى أن المؤرخين قد تحاملوا على هذه الثورة وعلى صاحبها، الذي لم يكن بنظرهم، إلا مغامرا شريرا، أثر نفسه بالخير. وكانوا لا يصفونه إلا بالخبيث، واللعين، وأنه عدو الله وعدو المسلمين⁽¹⁷⁾. ذلك لأنه فشل في تأسيس دولته، لكن لو انتصر صاحب الزنج لكان حكم المؤرخين عليه معاكسا تماما.

هذه إطلالة على واقع الزواج في العالم الإسلامي الذي لا يمكن بأي حال أن يكون وسطا معاديا للزواج، على الرغم من وجود هذه المظاهر فيه، والتي لازالت موجودة إلى يومنا هذا. لكن العداء الحقيقي سيعرفه الزواج في بلادهم مع بداية الاستعمار الغربي لأفريقيا، وهذا ما نستعرضه بعد التعرف على موقف ابن خلدون من الزواج.

2-3- الزواج عند ابن خلدون:

يسكن الزواج عند ابن خلدون، الكهوف والغياض، ويأكلون العشب، متوحشون غير مستأنسين، يأكل بعضهم بعضاً، وملابسهم من أوراق الشجر يخصفونها عليهم أو من الجلود، وأكثرهم عرايا من اللباس، أما أخلاقهم عنده فهي أقرب من خلق الحيوانات، وكذلك أحوالهم في الديانة أيضاً، فلا يعرفون نبوة ولا يدينون بشريعة، إلا من قرب منهم من جوانب الاعتدال فوق خط الاستواء شمالاً، وهو في الأقل النادر، مثل الحبشة المجاورين لليمن الدائنين بالنصرانية فيما قبل الإسلام وما بعده لهذا العهد، ومثل أهل مالي المجاورين لأرض المغرب الدائنين بالإسلام لهذا العهد. ومن سوى هؤلاء من أهل تلك الأقاليم المنحرفة جنوباً وشمالاً، فالدين مجهول عندهم، والعلم مفقود بينهم، وجميع أحوالهم بعيدة من أحوال الأناسي قريبة من أحوال البهائم⁽¹⁸⁾. وعندما بحث ابن خلدون في سبب هذه الفعال والأخلاق، تبين له أن الأمر له صلة وثيقة بالإقليم الحار الذي يتواجدون فيه. فكتب في مقدمته: " قد رأينا من خلق السودان على العموم الخفة والطيش وكثرة الطرب، فتجدهم مولعين بالرقص على كل توقيع، موصوفين بالحمق في كل قطر. والسبب الصحيح في ذلك أنه تقرر في موضعه من الحكمة، أن طبيعة الفرح والسرور هي انتشار الروح الحيواني وتفشيته، وطبيعة الحزن بالعكس، وهو انقباضه وتكاثفه... ولما كان السودان ساكنين في الإقليم الحار، واستولى الحر على أمزجتهم، وفي أصل تكوينهم، كان في أرواحهم من الحرارة على نسبة أبدانهم وإقليمهم، فتكون أرواحهم بالقياس إلى أرواح أهل الإقليم الرابع أشد حراً فتكون أكثر تفشياً، فتكون أسرع فرحاً وسروراً وأكثر انبساطاً، ويجيء الطيش على أثر هذه"⁽¹⁹⁾.

لكنه يؤكد أن هذا الوصف يخص الزواج المتواجدين في المناطق غير المعتدلة جنوب الصحراء، ويرى أن السبب في ذلك يعود لموقعهم الجغرافي، لهذا كان رافضاً للتفسير العرقي الذي عرضه المسعودي في تاريخه نقلاً عن الحكيم اليوناني جالينوس، وكرره الفيلسوف العربي يعقوب بن إسحاق الكندي. لأن هذا التفسير المستند للعرق بنظره يربط تخلف الزواج بأسباب عضوية مستقرة في أدمغتهم، مع أنه لا يوجد دليل يؤكد هذا الفرض⁽²⁰⁾. إلا أن هذا التفسير عاد للظهور بشدة في أوروبا الحديثة والمعاصرة.

3- الزواج في الفكر الغربي الحديث والمعاصر:

مع بداية عصر الاكتشافات الجغرافية وتوسع الاستعمار الغربي في إفريقيا مصحوباً غالباً بحملات التبشير، شرع الغرب في التعرف على مجتمعات جديدة في هذه القارة، وفي مقدمتها زواج جنوب الصحراء الكبرى، وكان الغرب في اكتشافه لهذه المجتمعات خاضعاً للتصور الذي صاغه بعض الانتروبولوجيين عن سكان إفريقيا،

بالإضافة لانتشار فكرة الاستعلاء العرقي بين الكثير من الغربيين. فكانت النتيجة تصنيف الزواج في مرتبة أقل من الإنسان الأبيض. الأمر الذي شجع الغرب على التمادي في استعمارهم لأرض إفريقيا، مدعياً أنه في مهمة حضارية، الغرض منها الرفع من مستوى السكان المحليين، بالعمل على تعليمهم، والخروج بهم من حالة التخلف الشامل إلى نور الحضارة، وتحسين مستوى معيشتهم. واشترك في إذاعة هذه المسوغات رجال السياسة والاقتصاد ورجال الدين، وللأسف كان من بينهم أيضا فلاسفة مرموقون أمثال هيوم، وكانط، وهردر، وهيجل.

3-1- دفيد هيوم:

للفيلسوف الأسكتلندي دفيد هيوم *David Hume* 1711 . 1776 م مساهمة معتبرة في الفكر الفلسفي العالمي، دفعت الفيلسوف كانط للاعتراف بفضله عليه، وأنه هو الذي أيقظه من سباته. لكن هذه المكانة لم تمنع هيوم من التورط في التحامل على الزواج، والمشاركة في رسم خريطة إدراكية سيئة لهم في المخيال الغربي، ويتضح موقفه هذا فيما كتبه حول السمات القومية *Essay of national characters*، يميل في هذا المقال إلى الظن بأن الزواج متدنون بشكل طبيعي عن البيض، واستدل على ذلك بعدم وجود أي أمة زنجية لها مساهمة معتبرة في الحضارة الإنسانية، ونفى فيه وجود زواج لهم اهتمام كبير بالتأمل والتفكير العقلي المحض، ويرى أن صناعاتهم وفنونهم لم ترتفع كثيرا عن المرحلة البدائية⁽²¹⁾.

واضح تماما أن هيوم يميز هنا بين الأجناس البشرية، ويحط من قيمة الزواج دون تردد، متكئا على غياب دورهم في الحضارة الإنسانية، وفسر غيابهم هذا بضعف مستقر في طبيعتهم. وكان عليه التساؤل عن العوائق الموضوعية التي حالت دون مشاركة الزواج في الحضارة الإنسانية. وهو الموضوع الذي تناوله بعض المهتمين بفلسفة الحضارة، وتبين لهم أن الظروف الطبيعية في إفريقيا السوداء هي السبب الأساسي الذي حال دون مشاركة قاطنيتها في الإبداع الحضاري. لقد ساهم هذا الفيلسوف بقصد أو غير قصد في نشر الانطباع السيئ حول الزواج في أوروبا وغيرها، وقد انعكس ذلك على تعامل الغرب مع الأفارقة في فترة الاستعمار، ولا زال الأمر على ما هو عليه إلى يومنا هذا.

3-2- إيمانويل كانط:

من المعروف للمهتمين بفلسفة إيمانويل كانط *Emmanuel Kant* 1724 - 1804 مدى شغفه بالأخلاق، وحرصه على أن يعامل الإنسان كغاية في حد ذاته، وألا يتم استعماله كوسيلة، وعمل ما في وسعه ليعم السلام العالم. إلا أنه عندما تعلق الأمر بالزواج يسقط في مستنقع العنصرية. فوصفهم بمصطلحات لا تتفق مع مبادئه التي أعلنها في مؤلفاته، إنهم بنظره لا يملكون إحساسا يدفعهم للارتقاء فوق النفاهة والوضاعة. وكان مستندا في ذلك للحكم الذي أصدره من قبل دفيد هيوم. ومثله يتحدى أن نجد فيهم من له القدرة على الإبداع والابتكار. وفي رده عن القول بأن الظروف الطبيعية في إفريقيا هي التي حالت دون إبداع الإنسان هناك، ويحاجج بأن الأفارقة المتواجدين خارج إفريقيا لا زالوا أبعد الناس عن الإبداع، وهذا برأيه يؤكد أن الظروف الطبيعية ليست هي العائق الذي وقف أمام الإبداع لدى الزواج، وإنما المشكلة تكمن في طبيعتهم نفسها. وعلى غرار هيوم، لم يشعر كانط بالأسى تجاه الظلم الذي تعرض له الأفارقة بسبب الاستعمار الغربي لبلادهم، بل كان يشجع عليه⁽²²⁾.

3-3- فريدريك هيجل:

وفي نفس الإطار نجد الفيلسوف الألماني فريدريك هيجل *Georg Wilhelm Friedrich Hegel* 1770 - 1831 الذي قبل أن يشرع في تسديد أحكامه العنصرية ضد الزواج، يمهّد لذلك بتقسيم إفريقيا لمناطق. أولها شمال إفريقيا،

ويطلق عليها اسم أرض الساحل، ويعتبرها أرض أوروبية، وهي بنظره إقليم رائع كانت توجد فيه قرطاجة فيما مضى ثم الرومان والعرب، ويتكون من مراكش الحديثة والجزائر وتونس وطرابلس. ويعتقد أنه كان من الواجب ربط هذا الجزء من إفريقيا بأوروبا، ولهذا استحسن استعمار فرنسا لهذه المناطق⁽²³⁾. ومع أن مصر تقع في الشمال الشرقي لإفريقيا، إلا أنه أفردتها بتصنيف خاص معتبرا إياها حلقة وصل بين الشرق والغرب، وهو الموقع الذي أهلها لصنع حضارة رائدة⁽²⁴⁾. أما باقي مناطق إفريقيا السوداء فيعتبرها موطننا لا يشجع على نشاط الإنسان، الذي ظل محافظا هناك على أصالته. الأمر الذي منعه من تجديد روحه⁽²⁵⁾.

ويرى أنه من أجل التعرف بشكل أفضل على الزنجي، وفهمه بشكل صحيح، على الباحثين في هذا الموضوع استبعاد الأخلاق والتعاطف مع هذا النوع من البشر، لأنهم ببساطة مختلفون عن الإنسان الأبيض، ولا يوجد لدى الزنجي حسب هيجل ما يشير إلى الإنسان الذي نعرفه⁽²⁶⁾. ويعتقد أن الوعي لدى الزوج لم يبلغ بعد مرحلة التحقيق الفعلي، وأنه يفتقر إلى معرفة أن هناك وجودا مطلقا آخر أعلى من ذاته الفردية، إنه يمثل الإنسان الطبيعي في حالته الهمجية غير المروضة تماما⁽²⁷⁾.

أما موقفه من استبعاد الزوج، فهو يقر بأنه أمر سيئ، لكن من جهة أخرى يقول إن مصيرهم لدى مستعبيهم قد يكون أفضل من حياتهم السابقة⁽²⁸⁾. ليخلص إلى نتيجة أن إفريقيا السوداء ليست جزءا من تاريخ العالم، ولا تكشف عن حركة الشعوب أو تطورها. أما ما فيها من حركات تاريخية، فهي غريبة عنها. إنها تنتمي إلى العالم الآسيوي أو العالم الأوروبي⁽²⁹⁾. وما يؤخذ على هيجل أن تحامله على الزوج، لم يكن مؤسسا على أدلة علمية، بل كان يستند في ذلك لتقارير المبشرين القادمة من إفريقيا، مع أنه وفي تناقض صارخ، كان يحذر في كتابه الموسوم بفلسفة الدين من مغبة الاعتماد على آراء المبشرين في تكوين التصورات حول الشعوب والثقافات الأخرى.

3-4- غوستاف لوبون:

بالنظر إلى الصفات النفسية صنف عالم النفس الاجتماعي غوستاف لوبون *Gustave le bon* 1841 - 1931 الزوج ضمن جنس بشري، أطلق عليه اسم العرق الأدنى. ويتصف هذا العرق عنده بضعف الانتباه، وضعف التأمل إلى أقصى حد، ويتضخم ملكة التقليد، وبعادة استخراج النتائج العامة الفاسدة من الأحوال الخاصة، وبالعجز عن ملاحظة ما يؤدي إليه الترصد من النتائج المفيدة، وبالعجز عن استنباط هذه النتائج، ويتقلب كبير في الأخلاق، وبغفلة عظيمة، كما أن وحي الساعة الحاضرة هو دليل هذه العروق⁽³⁰⁾. حسب هذا المفكر.

وفضلا عن هذا، كان لوبون يحذر من الزوج، فهم بالنسبة إليه يشكلون تهديدا مباشرا للحضارة سواء انتقلت إليهم هذه الأخيرة عن طريق الغزو والاستعمار، أو في حالة انتقالهم إلى مواقع التمدن في العالم عن طريق الهجرة. وهنا لا يرى حلا يُجَنَّب الحضارة شر هؤلاء، إلا بمنعهم من الاحتكاك بها. وقد نظر في تاريخ العالم فلم يجد كما قال: "في التاريخ القديم أو الحديث مثلا عن ارتقاء أمة زنجية إلى مستوى الحضارة"⁽³¹⁾، وهو حكم يبدو أنه لا يختلف في شيء عما ذهب إليه أصحاب النظرية العرقية. وقد تأثر هتلر بهذه الأفكار، فقال في كتابه كفاحي محذرا الألمان: "إن عالما تجتاحه سلالة من الزوج لا بد له من الاضمحلال"⁽³²⁾.

ولا زالت هذه النظرية العرقية مستمرة في زمننا، فهذا جيمس واطسون *James Dewey Watson* الحاصل على جائزة نوبل في الطب سنة 1962م، أعلن في مقابلة صحفية مع صحيفة الصنديا تايمز البريطانية، نشرت

يوم 17 أكتوبر 2007م، أن الزوج أقل ذكاءً من الأوروبيين⁽³³⁾، وهذا بحكم الأصول التي ينحدرون منها. ولا زال المهاجرون السود يتعرضون لكل أنواع المضايقات في الدول الغربية.

بعد هذا العرض الذي جمعنا فيه عينة من المواقف الصادرة ضد الزوج، نعود للكشف عن إنسانية الإنسان الزنجي، ورغبته في إعادة الاعتبار لنفسه، والعمل على تصحيح نظرة الآخر تجاهه، وقد تكون مخرجات الدراسات ما بعد الكولونيالية مفيدة في تمزيق التصور الذي تشكل حول الزوج، بالإضافة لما تقدمه البيولوجيا وعلم النفس في هذا المجال.

4- الشعور بالاعتزاز والكرامة عند الإنسان:

الاعتزاز بالنفس من الصفات التي يحرص الإنسان على امتلاكها، إلا أنه معرض لفقدانها نتيجة لظروف اجتماعية أو سياسية، وبالنظر لأهمية هذا العنصر أي الاعتزاز بالنفس، ويدخله الفيلسوف الألماني فريدريك هيجل في منظومته الفكرية، ويرى بأن البحث عنه في حركة الأفراد والشعوب يسمح لنا بالفهم الجيد لمسار التاريخ. مؤكداً أنه ليس من السهل امتلاك الشعور بالعزة والكرامة أو على الأقل لن يحصل عليهما الفرد بالمجان، بل عليه أن ينتزع ذلك انتزاعاً من غيره.

إن الشعور بالكرامة والتقدير والاعتزاز بالنفس، يفترض وجود فرد أو مجموعة من الأفراد أو أمة، في مقابل أفراد آخرين أو أمة أخرى. ولما كان الجميع يبحث عن التقدير ويريد الحصول عليه بكل وسيلة، فإن باب الصراع سيكون مفتوحاً دائماً. هذا ما أشار إليه هيجل في كتابه فينومولوجيا الروح، حيث بيّن أن الشعور بالاعتزاز والكرامة، يُعد من الأشياء التي تميز الإنسان عن الحيوان، إنه يرغب في أن يُعترف به من طرف الغير. ويعتقد أن الإنسان لن يعي ذاته ككائن بشري مستقل بشخصيته إلا عندما يعترف به إنسان آخر، لأن إحساسه بقيمته وهويته مرتبط بمدى تقييم الآخرين له⁽³⁴⁾.

هذا ما نقله فرانسيس فوكوياما *Francis Fukuyama* عن أليكسندر كوجيف *Alexandre Kojève* الذي نقل الفكرة بدوره عن هيجل، لكن بالعودة إلى نصوص هيجل، وقراءة أحد نصوصه في هذا الموضوع الذي جاء فيه: "هذا كائن، وهذا كموضوع، وإذا تفكرنا في هذا الاختلاف، اتضح أنه لا الأول، ولا الآخر يكونان كلاهما في الايقان الحسي في الحال وحسب، بل يكونان كلاهما في الوقت ذاته بتوسيط، وهذا الشيء يكون كذلك في الإيقان من خلال آخر"⁽³⁵⁾. فكانت الفكرة التي دافع عنها هيجل، هي أن الإنسان في حاجة للآخر حتى يشعر بالفعل أنه موجود.

وبالنسبة لفوكوياما فإن مسألة الاعتزاز بالذات قديمة تعود إلى الإنسان الأول الذي كان يريد الاعتراف به كإنسان، من طرف غيره من البشر، وعندما تتعارض الإرادات يؤول الأمر إلى صراع عنيف يسعى كل متنافس فيه إلى إجبار الآخر على الاعتراف به من خلال المخاطرة بحياته. وقد تُسفر هذه المعركة الدموية على نتيجة من ثلاث: إما يموت المتصارعان، أو يموت أحدهما لكن في هذه الحالة يظل المنتصر غير راض عن الوضع الجديد، إذ لم يُعد ثمة وعي بشري آخر ليعترف به. خلافاً للحالة الثالثة وهي التي يقرر فيها أحد المتنافسين الإدعان لوضع العبودية مفضلاً إياها على خطر الموت، وحينها يشعر المنتصر بالارتياح، لأنه خاطر بحياته ونال الاعتراف والتقدير، عن طريق مخاطرته بحياته إزاء كائن بشري آخر، وهنا نكون مع سيد وعبد، كلاهما يعي ذاته في ظل وجود الآخر.

إن الإنسان حسب هذا التصور لا يسعى إلى الراحة المادية فحسب، وإنما يسعى كذلك إلى كسب الاعتراف بالتقدير والكرامة، ويُحس بأنه جدير بالاحترام. وهذا موضوع جدير بالاهتمام ولا ينبغي لعلوم النفس والسياسة والاجتماع إهماله، أعني به رغبة الإنسان في كسب الاعتراف والتقدير.

ويرى فوكوياما أن الرغبة في نيل الكرامة والاعتزاز بالنفس ما هي إلا العاطفة الإنسانية التي نطلق عليها اسم الكبرياء، أو احترام الذات، حين نكون راضيين عنها، أو الغرور والصلف والأنانية حين لا نكون راضين عنها⁽³⁶⁾. وفي الواقع فإن علم النفس الاجتماعي لم يغفل هذه المسألة. لأنه تبيّن أن الكثير من الصراعات التي تنشأ بين عصابات الأحياء والجماعات الدينية والأمم، تستند على مشاعر الافتخار المبالغ فيها بالانتماء إلى الزمرة أو الجماعة⁽³⁷⁾. ويزداد الوضع تعقيدا بسبب وجود الدوافع التدميرية لدى الإنسان، يضاف إليها الميول السادومازوخية والسيكوباتية وهذات العظمة⁽³⁸⁾. كما حاول بعض الفلاسفة الكشف عن أهمية هذه العناصر ذات البعد النفسي في سلوك الإنسان والجماعات.

فهذا أفلاطون يخصص في محاورة الجمهورية جزءا مهما للحديث عن هذا الشعور لدى الإنسان من خلال التطرق لفكرة التيموس. في هذه المحاورة يكشف عن وجود علاقة بين التيموس وتقييم المرء لنفسه. ويتمظهر التيموس لدى أفلاطون في صورتين، أو يتفرع إلى نوعين، الأول عندما يرغب الإنسان في نيل الاعتراف بالتفوق على الآخرين، وأطلق عليه كلمة الميجالوتيميا أو تضخم الذات، وتظهر لدى المغرورين عادة. والنوع الثاني من التيموس يكون عندما يرغب الإنسان في نيل الاعتراف بوصفه مساويا لغيره وأطلق على هذا النوع مصطلح الايسوثيميا أو التعادلية. والتيموس سواء في صورتها المتواضعة الايسوثيميا، أو في صورتها المترفعة الميجالوتيميا، فإنها بحسب فوكوياما كانت موضوعا محوريا في الفلسفة السياسية الغربية مع اختلاف الأسماء التي أطلقها المفكرون على هذه الظاهرة⁽³⁹⁾.

5- الزواج والعنصرية:

لقد صنع الاستعمار الأوروبي في إفريقيا وفي مناطق مختلفة فئات من الشعوب مسلوقة الإرادة، مقتنعة تماما بأن حياتها مرتبطة بالإنسان الأبيض. مجسدا بذلك الأفكار العنصرية على أرض الواقع. فكان الامتهان للملونين هو السائد، ولم يقتصر الأمر على سلب خيرات إفريقيا، بل امتد التدمير ليشمل وعي الأفارقة، عن طريق اختلاق تاريخ جديد لهم، واصطناع وعي جديد لا يمت بصلة إلى ما كان يعرفه الآباء والأجداد. وقد نجح الاستعمار في ذلك إلى حد كبير، لدرجة أن بعض الأفارقة يجدون صعوبة في التحرر من النماذج الزائفة والقوالب التي صنعها الغرب وألبسهم إياها⁽⁴⁰⁾.

5-1- اتصال الأوروبيين بالزواج:

يعود اتصال الغرب بزواج إفريقيا لبداية القرن السادس عشر، عندما شرع البرتغاليون في اكتشاف غرب هذه القارة بحثا عن الذهب، ولم يمر وقت طويل حتى أسسوا هناك مراكز لتجارة الرقيق ونقلهم نحو أوروبا، ثم لاحقا أمريكا دون أدنى اعتبار لأدميتهم. متأثرين في ذلك بما يزخر به المخيال الغربي من أفكار عنصرية تُجاه الملونين بشكل عام، والزواج على وجه الخصوص. إنهم ينظرون إلى الزواج باعتبارهم كائنات مركبة من الغباء والأوهام، والخضوع مع افتقارهم إلى الذكاء، إنهم مجرد أطراف وأعضاء، ولون، ورائحة، ولحم وشهوة. هذا ما ذكره باستتكار المفكر الكامبروني أشيل مبيمبي *Achille Mbembe*⁽⁴¹⁾. ثم حذت دول أوروبا الغربية حذو البرتغال، والكل يريد أن ينال حظه من خيرات إفريقيا. فتم اقتسامها بين بلجيكا وفرنسا وألمانيا وبريطانيا وإيطاليا وإسبانيا، واستمر

الاستعمار هناك زما غير يسير. وعندما انسحب في الستينيات من القرن العشرين، ترك خلفه دولا اصططنها بعد تفكيكه لوحدة القبائل التي كانت قائمة من قبل، ليسهل عليه التحكم فيها ونهب خيراتها بعد جلائه⁽⁴²⁾.

5-2- مأساة الزواج:

في أحد نصوصه التي كتبها فرانتز فانون *Frantz Fanon 1925 1961* في كتابه بشرة سوداء أفتنة بيضاء، *Peau noire, masques blancs* يمكن تلمس مأساة الزواج، قال فيه: "في القطار لا يعود الأمر متعلقا بمعرفة جسمي بصيغة شخص ثالث، بل بصيغة عدة أشخاص، بدلا من مقعد واحد في القطار، كانوا يتركون لي مقعدين، ثلاثة مقاعد"⁽⁴³⁾. إنه يشعر بالتمييز العنصري في كل مكان، كونه منبوذاً، بدليل أن المسافرين البيض يتحاشون الجلوس إلى جانبه. وفي نفس الصفحة يعبر عن حجم الألم الذي يشعر به إزاء التمييز والعنصرية: "كنت في آن مسؤولاً عن جسمي، مسؤولاً عن عرقي عن أجدادي، كنت ألقى على ذاتي نظرة موضوعية اكتشف سوادي، سماتي الإثنية، وكانت تخترق طيلة أدني: أكل لحم البشر، التخلف العقلي، الفتشية، العيوب العرقية"⁽⁴⁴⁾. ثم ذكر قصة تراجية لتأكيد هذا المعنى، وفحواها أن طفلاً أبيض كان يتجول مع أمه البيضاء في يوم بارد، وفجأة وقعت عيناه على زنجي يرتعد من البرد، فظن الطفل أنه يرتعد من الغضب، فأخذ يرتعش خوفاً ثم ارتمى بين ذراعي أمه، صارخاً: سيأكلني الزنجي⁽⁴⁵⁾. من الوصف ندرك أن مشكلة الطفل ليست مع البرد، لأن صناعة النسيج في أوروبا تتكفل به، وإنما مشكلته مع لون الزنجي، وحركات جسمه. مشكلته مع ما سمع في محيطه حول الزواج، وأنهم يختلفون عن الإنسان الأبيض. وأنه نموذج أولي لصورة قبل بشرية، غير قادر على التخلص من حيوانيته⁽⁴⁶⁾، مشكلته مع الصورة النمطية للزواج باعتبارهم يشكلون مصدر خطر.

وقد انعكس هذا الانطباع على قطاع واسع من الغربيين، فأصبح الشر عندهم مقترنا بالسواد، والطاعون أسود، والجحيم أسود، وكذلك الخطيئة والموت والحرب والمجاعة، في المقابل كل خير أبيض، والعدالة بيضاء، والحقيقية بيضاء⁽⁴⁷⁾. ومع أن الأديان لا تقر التمييز العنصري، والعلم أكد أنه لا يوجد فرق بين أنواع البشر على المستوى البيولوجي، إلا أن الزواج لازالوا يعانون من التمييز العنصري، ويُنظر إليهم على أساس أدني من الإنسان الأبيض وفي أفضل الأحوال هم مجرد آلات ومصدر للطاقة⁽⁴⁸⁾. وما يلفت الانتباه أن المستعمر تمكن من خلق تمييز عنصري آخر بين الزواج أنفسهم، أو ما يمكن وصفه بالعنصرية البينية.

5-3- البرجوازية الزنجية والعنصرية البينية:

ظهرت في بعض المستعمرات خاصة الفرنسية ومع مرور الوقت طبقة وسطى تتألف من الزواج الأوفياء للمستعمر، وهم في الغالب موظفون حكوميون، هذه الطبقة كانت تساعد المستعمر في التغلغل داخل المجتمع، مقابل تمكينها من بعض المزايا، مثل السماح بتعليم أبنائها في المدارس النظامية، مع إمكانية مواصلة المتفوقين منهم الدراسة في الجامعات الأوروبية، لذلك كانت هذه الطبقة تأنف الاتصال بأبناء جلدتها.

هذه الظاهرة رصدها فرانتز فانون في المارتنيك مسقط رأسه، المستعمرة الفرنسية التي لازالت تابعة للمستعمر حتى يومنا هذا. هناك لاحظ كيف يتحول الزنجي بعد زيارته لفرنسا، فيشعر أنه ابتعد عن جنسه كثيراً وأصبح غريباً عنهم، قال فانون: "الأسود الذي عاش بعض الوقت في فرنسا، يعود منها ويتحول جذرياً، ولكي نعبر عن فكرتنا بمصطلحات من علم الوراثة، نقول إن نمطه المظهري يتعرض لتحول نهائي مطلق... حتى تشعر من خلال مشيته شبه اللطيفة، أن قوى جديدة قد انفلتت من عقالها، وعندما يلتقي صديقاً أو رفيقاً لا يعود يُعرب عن نفسه بالحركة العضدية الزراعية الواسعة. ينحني باحتشام، فالصوت الأبح عادة ينتهي إلى أسماعنا، فيُغَيَّر من

مخارج الحروف عند نطقه بالفرنسية، فيحذف الراء من كلمة مارتينيك فتصبح ماتتيك، ومن كلمة فرانس فتصبح فانس⁽⁴⁹⁾. كل ذلك تزلفا وتقربا للإنسان الأبيض. وحتى تؤكد هذه الطبقة للمستعمر أنها تخلصت من ماضيها وثقافتها، فإنها تشرع في التنازل طوعا عن هويتها ولغتها، وتلتزم الحديث بالفرنسية، وهذا هو ديدن البرجوازية في الأنتيلي التي تفرض على أبنائها احتقار اللغة العامية⁽⁵⁰⁾.

إن الأنتيليين حسب فرانس فانون يخلون عندما يُستَبَّ بأنهم سينيغاليون، ذلك لأن الأنتيلي أضحى في نظرهم ويتوجيه من المستعمر أفضل من الأسود الأفريقي، بمعنى أنه أقرب من الأبيض. بل ويغضبون من أقاربهم في الكارييب والغوادلوب عندما ينتحلون شخصية الأنتيلي. يعني أن الأنتيلي أصبح تقريبا إنسان آري (أسود). والغريب أن هذه الفكرة تسلت لبعض الأفارقة الذين يسعون دائما لإرضاء سيدهم الأبيض، فينكر البييني والكونغولي أصولهم ويدعون أنهم أنتيليين⁽⁵¹⁾. ليخلص فانون إلى حقيقة أن الأسود الأنتيلي بعدما كان عبدا للأبيض راح يستعبد نفسه بنفسه⁽⁵²⁾.

شكلت هذه الفئة ما يُعرف عنده بالبرجوازية الزنجية في المارتينيك، والتي كانت تعمل بدون هوادة على الاقتراب قدر الإمكان من المستعمر، في الوقت الذي تسعى للابتعاد عن بني جلدتها. فالأنتيلي حسب فانون لا يحسب نفسه أسود، بل أنتيلي، أي أفضل من الزنوج الآخرين. يتصرف الزنجي الأنتيلي هنا كأنه أبيض والحال أنه زنجي. وسيعرف الزنجي طال الزمن أو قصر أنه لا يختلف عن بني جلدته في نظر المستعمر، عندما يصل إلى أوروبا، وحينها سيتأكد أنه مثل السنيغالي أو غيره من الأفارقة، فالكل زنوج بنظر المستعمر⁽⁵³⁾. نفس الملاحظة سجلها أشيل ميمبي في الولايات المتحدة فقال: لقاء زنوج الولايات المتحدة مع زنوج إفريقيا يشكل من الوهلة الأولى لقاء مع آخر⁽⁵⁴⁾، وكأنهم لا ينحدرون من جنس واحد.

وفي الواقع كتاب فرانس فانون بشرة سوداء أقتعة بيضاء، هو دراسة في سيكولوجية العنصرية، حاول من خلاله فضح الهيمنة الكولونيالية على نفسية المستعمر في ضوء نتائج علم النفس الحديث، ومقولات التحليل الماركسي للثقافات الطبقي بين أفراد المجتمع. ويرى البعض أنه كان موجها تحديدا لهذه الطبقة من الزنوج التي تسعى للاندماج مع المستعمر، وتتفر من التعامل مع الزنوج الآخرين. إنه يعني بأصحاب البشرة السوداء والأقنعة البيضاء، تلك النخبة البرجوازية الزنجية، التي تبادلت الأدوار مع الطبقة الكولونيالية البيضاء، لترسخ أقدامها أكثر في مناطقها الجديدة. وقد اكتشف فانون وهو الطبيب النفساني بملاحظته الدقيقة، أن النخبة الزنجية كانت تشعر أن البشرة السوداء، تحول دون انصهارهم واندماجهم التام مع المستعمر الأبيض، فحاولت هذه الفئة ستر لونها بالانغماس دون حدود في ثقافة المستعمر، والتغني بقيمه والتحلي بها⁽⁵⁵⁾، ونبذ كل ما له علاقة بثقافتها الأصلية. ولو صح ما نقله محمد الميلي عن مصطفى الأشرف فإن فانون نفسه كان يعتقد أنه أوروبي⁽⁵⁶⁾. وبالتالي هو نفسه كان ضحية لهذا الذوبان في المستعمر والطموح للاندماج فيه، لكن فانون وبعد اطلاعه على آراء مناهضة للاستعمار واحتكاكه بمناضلين يعملون على إعادة الاعتبار للزنوج في المارتينيك وغيرها، عقد العزم على دراسة مشكلة السود وكيفية رفع الظلم المسلط عليهم.

وظهرت في الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي نخبة شبيهة بالبرجوازية الزنجية في المارتينيك، كلاهما يحرصان على إرضاء الاستعمار وأقصى ما يريدون هو أن يتفضل عليهم المحتل بالمساواة مع المواطنين القادمين من أوروبا في الحقوق أو ما يعرف بالاندماج، مع نفورها من السكان الأصليين لا سيما من يرفض الخضوع للمحتل. وقد كان انسجام هذه الفئة مع المستعمر في الجزائر أسهل نسبيا منه في جزر الأنتيل وإفريقيا السمراء، بسبب

تقارب لون البشرة بين الطرفين. بالإضافة إلى اقتناع البعض منهم وبوحي من الفرنسيين أنهم ينحدرون من أصول أوروبية، في حين كان على الزوج في المارتينيك بذل جهد مضاعف من أجل الانسجام مع المحتل لتخطي فارق اللون.

لقد وجد في الجزائر نفس الممارسات التي يعاني منها السكان الأصليون في المارتينيك، رغم أنهم من جنس متوسطي، ولونهم قريب إلى حد ما من لون المستعمرين، لكن هذا لم يشفع لهم، فكانت معاملة الاستعمار لهم لا تختلف عن معاملة السود. وهنا أدرك أن الجزائريين بالنسبة للفرنسيين هم زوج بشرتهم ليست سوداء، أو زوج بيض إن صح التعبير. وهذا ما يفسر استخدام فرانس فانون لكلمة العرب إلى جانب الزوج عندما يكون في معرض الحديث عن الاضطهاد الذي يتعرض لهم الانديجان.

هذه الظاهرة التي جلبت انتباه فرانس فانون هي نفسها الظاهرة التي عالجها من قبل العلامة ابن خلدون في إطار أشمل وهو خضوع المنهزم للمنتصر، ولم يجد تفسيراً مقبولاً لها، إلا باستناده إلى العوامل النفسية، فتبين له أن الرغبة في تقليد الأمم القوية تنطلق من داخل الأُنفس المهزومة، والمغلوبة على أمرها، وهنا وضع ابن خلدون قاعدة عامة تفيد بأن المغلوب يقلد الغالب دائماً، والسبب في ذلك كما يقول هو: "أن النفس أبداً تعتقد الكمال في من غلبها وانقادت إليه، إما لنظره بالكمال بما وقر عندها من تعظيمه، أو لما تغالط به من أن انقيادها ليس لغلب طبيعي، وإنما هو لكمال الغالب، فإذا غالطت بذلك حصل اعتقاداً فانتحلت جميع مذاهب الغالب وتشبهت به وذلك هو الاقتداء"⁽⁵⁷⁾. ودليله على ذلك أن المغلوب يتشبه بالغالب في ملبسه ومركبه وسلاحه وفي سائر أحواله⁽⁵⁸⁾.

6- العنف سبيل لنيل الاعتراف:

كان فرانس فانون يدرك أن غيره من الزوج يقاسمونه نفس الشعور بالظلم والامتهان وسلب الإنسانية منهم، لكنه يعلم أيضاً أنه ليس من السهل إقناع السود بالتصدي للعنصرية لاسيما بعد أن تعود الكثير منهم على مكانتهم، واستسلموا لمصيرهم، فخضعوا للمستعمر الأبيض. لكنه لم يستسلم فحاول عن طريق كتاباته، تنبيه بني جلدته أن الأمر ليس كما يتصورون، وأنه بالإمكان التصالح مع أجسامهم وألوانهم، مستعينا في ذلك بأدوات وفرها التوجه اليساري في الفكر الغربي والفلسفة الإنسانية التي أصبحت تُقدس الإنسان بصرف النظر عن جنسه ولونه، وملكنا على الزخم الثوري الذي اقتبسه من الثوار في الجزائر ضد المستعمر الفرنسي.

6-1- القابلية للاستعمار من وجهة نظر فانون:

حاول فرانس فانون نقد نظرية عالم النفس أوكتاف دومينيك ماموني¹⁸⁹⁹ *Dominique Octave Mannoni*. 1989 التي مفادها أن الزنجي فطريا له القابلية للاستعمار، فقال: لقد توصل - السيد ماموني - بكل أسف إلى نظرة مفرطة في شموليتها للظواهر البيولوجية التي تحكم علاقة المستعمر بالمستعمر⁽⁵⁹⁾. إن هذه النظرية تبرر للمستعمر ما يقوم به من أعمال شنيعة ضد الشعوب المستعمرة، خاصة عندما أدعى دون دليل وجود بذور الدونية والانحطاط بصفة فطرية لدى الزوج، وأن الدونية كانت موجودة فيهم قبل الاستعمار⁽⁶⁰⁾. وأن هذا العائق النفسي والبيولوجي سيمنع الزنجي من تغيير مصيره. لأن القابلية للاستعمار عند مانوني مستقرة في أعماق النفس الزنجية، وليس من السهل التخلص منها. بل يكون الاستعمار هو مطلبهم وغايتهم⁽⁶¹⁾. الأمر الذي دفع فرانس فانون لاستتكار هذه النظرية، ودعا صاحبها إلى التحلي بالشجاعة في قول الحقيقة، التي تفيد بأن الزنجي إنسان له كرامته، وإن كانت تبدو عليه سمات الانحطاط، فإن الاستعمار الغربي هو السبب، الذي استعمل أساليب

منحطة دفعت الزوج للظهور بهذا المظهر البائس، ولا علاقة لذلك بمقولة القابلية للاستعمار، إن المستعمر هو الذي خلق هذه الشخصية ولم تكن فطرية في الزوج⁽⁶²⁾. و بالإمكان التخلص من هذه الصفات وإرغام المستعمر على الاعتراف بإنسانية وكرامة الزوج ولو تطلب الأمر استخدام العنف.

2-6- دعوة لنيل الاعتراف بالعنف:

كان فرانز فانون يدعو لمواجهة مشكلة استرداد الهوية بالعنف مع أنه في بداية تكوينه الفكري كان مسالما وداعيا لافتكاك الحقوق بالحوار، لكنه وجد الأمر لا يفي بالغرض، فتحول إلى ثائر داعيا لمقارعة المستعمر بالعنف، جالبا لنفسه غضب الجميع، بداية من المستعمر، مروراً بأصدقائه اليساريين الذين يرفضون العنف بكل أشكاله، وصولاً إلى الزوج ومن هم في حكم الزوج. وكانت البداية بتوجيه النقد لنظرية الزوجية.

1-2-6- نقد نظرية الزوجية:

كان فانون معجبا بأراء الشاعر المارتينيكي إيمي سيزار *Aime Cesaire* 1913 . 2008 ودفاعه عن الزوج عبر ما بات يُعرف بنظرية الزوجية، وهي حقل معرفي ظهر في أوروبا في النصف الثاني من القرن العشرين، أهتم مؤسسوه وهم غالبا ينحدرون من أصول إفريقية أمثال الشاعر السينغالي ليوبولد سيدار سينغور *Leopold Sedar Senghor* 1906 - 2001 والزعيم الغاني كوامي نكروما *Kwame Nkrumah* 1909 - 1972، بالإضافة إلى إيمي سيزار كما تقدم، هؤلاء كان لهم دور في الارتقاء بالأدب الإفريقي، ودور في نشر الوعي لدى الزوج بأهمية الشعور بانتمائهم لأفريقيا وضرورة انسجامهم مع ذواتهم.

إلا أن فرانز فانون، وبعد نقد ذاتي لهذه النظرية، قرر التراجع عن الأفكار التي تطرحها، ثم راح يحذر منها. لأنه اكتشف فيها فلسفة تحاول حل مشاكل الحاضر بتصورات من الماضي، فلسفة تكتفي بالوعي بسواد البشرية أو الوعي بعدم بياضها، ثم تسعى لتمجيد الزوجية باستعراض بعض القيم الزنجية التي ذكرتها الأساطير القديمة هنا وهناك. وتبين له أن هذه النظرية لن تنجح إلا في خلق لدى من يستمع إليها شعورا بالارتياح، لكن مشاكله تظل عالقة وربما تتعد أكثر. إنها في الواقع حسب فانون تخنق كل ثورة نفسية قد تعود بالفائدة على الزوج. واستدل على ضررها باحتفال المستعمر بها وبرموزها، لأنها تساعد في هيمنتها على المستعمرين، فتقطن فانون لضررها، وشرع يحذر منها بفكره وعمله في الميدان⁽⁶³⁾.

ومن جهة أخرى استنتج أن مفكري ومنتسبي هذا التيار متناقضون مع أنفسهم، فبينما يمجدون إفريقيتهم ويدعون لإحياء التراث الحضاري الإفريقي، وجدهم في نفس الوقت على اتصال وثيق بالمحتل، الأمر الذي دفعه للرد بقوة على أستاذه إيمي سيزار بسبب ترويجهِ للتصويت على الاستفتاء الخاص ببقاء جزر المارتينيك ضمن السيادة الفرنسية مع تمتعها بالحكم الذاتي، ووجده يدعو في نفس الوقت وفي تناقض صارخ الأهالي للتمسك بثقافتهم الإفريقية. متناسيا أن زنجية الزنجي أمر مسلم به ولا تحتاج إلى الكتابات لبلورتها وإبرازها.

وقد يكون لهذه الانتقادات دور في تراجع فكرة الزوجية وافتقادها لزخمها وتجاوب الجماهير معها في الدول الإفريقية المستقلة، ثم انحسارها لاحقا تاركة المجال لمصطلح آخر وهو الإفريقانية *panafricanisme* التي تسعى للبحث عن حلول ملموسة لمشاكل القارة الإفريقية، دون الاكتفاء بالحلول النظرية، إلا أنها كسابقتها لم تفلح بعد في الرفع من قيمة الأفارقة.

6-2-2- العنّف لنيل الاعتراف:

بدل الاكتفاء بالانتظير الذي قد يساهم في تعقّد وضعية الزواج، حاول قانون إقناع العالم والإنسان الأبيض في أوروبا وأمريكا الشمالية أنهم مخطئون. ذلك لأن مشكلة الزنوجة معقدة. فعندما قارن وضع الزنجي بوضع اليهودي في النصف الأول من القرن العشرين، وجد أن اليهودي أقلّ ضررا من الزنجي، فاليهودي في نهاية المطاف هو أبيض، ولولا بعض السمات يمكنه أن يمر أمام الناس دون أن يجلب الانتباه، لكن مع الزنجي ما من فرصة تتأاح له، فهو مُحدّد ومُتعيّن من الخارج، إنه ليس عبد الفكرة التي يُكوّنُها الآخرون عنه مثل اليهودي، بل مظهره الخارجي ولون جلده هو سبب مشاكله⁽⁶⁴⁾. فما هو الحل لتجاوز هذه الأزمة وإرغام الآخر على الاعتراف بالزنجي؟

يكمن الحل في ممارسة العنف ضد المستعمر، وضد العنصري، إن العنف يحقق للمضطهدين فائدة مزدوجة، ففي حالة قيام شخص أسود بالقضاء على مستعمر أبيض دفاعا عن هويته وكرامته، فإنه في الوقت الذي يقصي فيه عدوه، فإنه سيقتل في نفسه أيضا ذلك العبد الضعيف المستكين الذي ورثه عن أجداده. وهذا يعني أنه بفعله هذا يكون قد تحرر خارجيا وداخليا بضرية واحدة. وهذا ما شاهده قانون في جبال الجزائر عبر الملاحم التي سجلها ثوارنا. ومنه ليس على الأسود أن يصارع الطبيعة محاولا أن يكون أبيض، وليس في حاجة لوضع قناع أبيض، وليس في حاجة لاستعطاف المستعمر، بل عليه فقط اكتشاف قدراته وإمكانياته، ثم تجسيد ذلك في صورة مقاومة عنيفة ضد العدو وفي هذا قال: "قررت أن أوكد لنفسي كأسود طالما أن الآخر متردد في الاعتراف بي، لم يبق سوى حل واحد: جعله يعرفني"⁽⁶⁵⁾. كيف ذلك؟ عن طريق الكفاح ضد المستعمر بكل الأساليب المتاحة من أجل التحرر ومن ثم استرجاع الكرامة والاعتزاز بالأمة.

وبالنسبة لمحمد الميلي فإن تحول قانون نحو العنف في التعامل مع المستعمر، كان مقترنا بالتحاقه بصوف الثورة الجزائرية، ليؤكد أن هذه الأخيرة هي التي أمدته بتصورات جديدة ساعدته على الفهم الصحيح لطريقة التعامل مع الاحتلال. وهذا يعني عند الميلي، أنه لا قيمة للآراء التي يدعي أصحابها أن الثورة الجزائرية كانت في حاجة لإسهامات قانون النظرية، ولا معنى لوصفه بأنه مفكر هذه الثورة مثلما كان جان جاك روسو مفكر الثورة الفرنسية⁽⁶⁶⁾. والصحيح عنده أن قانون هو الذي استفاد من الثورة الجزائرية، فغيرت وجهة نظره في كيفية التعامل مع المستعمر⁽⁶⁷⁾.

6-2-3- واقع الزواج في عالمنا المعاصر:

بدأت المعاناة الحقيقية للزواج مع الاستعمار الغربي لأفريقيا، الذي لم يتردد في جرمانهم من خيراتهم واستغلالهم إلى أقصى الحدود، ثم أخذ يتعامل معهم كسلعة فنقلهم إلى الولايات المتحدة وأمريكا الجنوبية لاستغلالهم في الزراعة وغيرها. إلا أن السود وتحت تأثير الأفكار التحررية، نجدهم كغيرهم من البشر يسعون للتحرر من رقة الاستعباد، فكانت البداية في الولايات المتحدة الأمريكية، التي شهدت حربا أهلية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، بسبب تباين المواقف حيال حقوق السود بين مؤيد ومعارض. وفي النهاية رجحت كفة المؤيدين بزعامة أبراهام لينكولن *Abraham Lincoln* 1809 . 1865، وتم إلغاء العبودية سنة 1863 بشكل رسمي في ربوع الولايات المتحدة الأمريكية.

إلا أن هذه النتيجة لم ترق لبعض الرأسماليين البيض، فحاولوا الالتفاف على مخرجات الحرب الأهلية، وقرار إلغاء العبودية، إن لم يكن بعودة الاستعباد، فلا أقل من إشعار الزواج بأنهم أقل قيمة من البيض. وهنا ظهرت

قوانين عنصرية في الولايات المتحدة بداية من 1870 تحضر على السود ارتياد الأماكن العامة المخصصة للبيض بما في ذلك المؤسسات التعليمية، ومنعهم من ركوب المواصلات الخاصة بالبيض. واستمر التحايل على القوانين التي توجب احترام إنسانية الزوج لغاية عام 1954، وهي السنة التي عرفت ظهور حركة الحقوق المدنية. مع مارتن لوثر كينغ *Martin Luther King* 1929 - 1968، الذي عبر أحسن تعبير عما يتطلع إليه الزوج، فكان النضال عن طريق الوسائل المشروعة، لاسيما المسيرات والتظاهرات. ثم صعد الموقف زميله مالكوم إكس *Malcom X* 1925 - 1965، عندما رفع قضية السود إلى هيئة الأمم المتحدة، وكانت النتيجة إلغاء قوانين الفصل العنصري عام 1968، وإقرار قانون الإسكان العادل الذي يمنع التمييز في السكن على أساس العرق والجنس والدين. وكانت الأمم المتحدة قبل ذلك قد أعلنت في 20 نوفمبر 1963 عن قانون يمنع جميع أشكال التمييز العنصري في جميع أنحاء العالم، بكافة أشكاله ومظاهره، واعتباره ظلما لا مبرر له، وامتهانا لكرامة الإنسان، وحددت الأول من شهر مارس يوما عالميا للقضاء على التمييز العنصري، تذكيرا بالأعمال الشنيعة التي قامت بها الشرطة في جنوب إفريقيا سنة 1960، أين أطلقت النار وقتلت 69 شخصا كانوا مشاركين في مظاهرة سلمية ضد قوانين المرور المفروضة من طرف نظام الفصل العنصري.

وإذا كان زواج إفريقيا جيء بهم إلى الولايات المتحدة كعبيد، فإن الدول الاستعمارية الأوروبية مثل فرنسا وبلجيكا وألمانيا وإيطاليا وهولندا وإسبانيا هي التي استولت على أراضي الأفارقة، ثم أخذت تُسيمهم ألوان العذاب في بلادهم، وحتى بعد نيل الاستقلال عمل الاستعمار على نهب خيرات السود ونقلها إلى أوروبا، ولم يتخلص الزوج في جنوب إفريقيا من نظام التمييز العنصري حتى سنة 1992 عندما سقط نظام بريتوريا العنصري وتم تصويب القائد الرمز نيلسون مانديلا *Nelson Mandela* 1918 - 2013 م رئيسا للبلاد.

كان العصر مليئا بالأحداث المؤلمة بالنسبة للزوج، لكنه في نفس الوقت كشف عن بارقة أمل تفيد بأن السود بإمكانهم العيش في سلام إلى جانب بني جنسهم من البشر، وبإمكانهم الحلم والمشاركة في الحضارة الإنسانية، وإثراء الثقافة العالمية. وبالفعل تمكن الكثير منهم من الانخراط في الحياة العامة، بل وتمكن أحدهم من الوصول إلى البيت الأبيض كرئيس للولايات المتحدة، إلا أن هذا لم يكن كافيا. ومن حين لآخر نسمع بمأساة هنا وهناك تذكرنا بمعاناة الإنسان الزنجي على مر تاريخه، وتؤكد أن النزعة التدميرية لدى الإنسان الأبيض مخفية عن الأنظار فقط، لكنها متوثبة للظهور كلما كانت بصدد إنسان أسود يريد أن يعيش كما يعيش غيره من الناس. ومنذ فترة قصيرة وبالضبط سنة 2020 قضى شاب أسود تحت ركلة شرطي أمريكي خنقا، وتسببت الفاجعة في موجة من الاحتجاجات والمظاهرات أعادت إلى الواجهة مقولة مارتن لوثر كينغ لدي حلم، وبعدها أصبحت أمريكا تسجل قتلى من ذوي البشرة السوداء ضحايا العنف والعنصرية، ونفس الأمر بالنسبة لأوروبا، وأصبحنا نرى مثل هذه المظاهر حتى في بلادنا الإسلامية، مع أن ديننا يحضّر مثل هذه التصرفات، ويدعو للتعامل مع البشر بمقياس التقوى فقط، فكلنا لأدم وأدم من تراب.

خاتمة:

ما نخلص إليه في نهاية هذه المقالة، أن الاعتراز بالهوية حق لكل الشعوب بصرف النظر عن ألوانهم وأديانهم وثقافتهم وأجناسهم، وهو حق يكفله القانون الدولي والأعراف والأديان. إلا أن جشع القوى الكبرى وحرصها على الاستحواذ على مقدرات الأمم الضعيفة، واستنفاد ثرواتها ومقدراتها الطبيعية. واعتبارها سوقا لمنتوجاتها، حال دون حصول الدول الإفريقية على استقلالها التام، تارة بفعل الضغوط الخارجية، وتارة

بالعمالة من الداخل، وفي كل الحالات لازال الحلم الذي رواد فرانز فانون وغيره من المفكرين الأفارقة في الارتقاء بالزنج لما هو أفضل بعيد المنال. وها نحن نلج العقد الثالث من القرن الواحد والعشرين بنفس الأزمات التي كانت في بداية القرن العشرين، وأحيانا نشعر بأن الأمر يزداد سوءا، خاصة مع الاضطرابات السياسية التي تعم أغلب دول الساحل، والانقسامات التي تتعرض لها الدول الإفريقية. ولا حل لمشكلة الأفارقة إلا بالوعي، ونشر الفكر التحرري، والإيمان بقدرات شعوبها، وقد يكون من المناسب استحضار رموز النضال الإفريقي أمثال فرانز فانون وغيره، وحث الشباب على مواصلة المسيرة التي بدأها هؤلاء، لأن مستقبل إفريقيا بيد أبنائها.

الإحالات والهوامش:

- 1- ابن منظور، (1970)، لسان العرب المحيط، دار لسان العرب، بيروت، المجلد الثاني، ص 290.
- 2- أميرة الشيخ رضا فرحات، (2011)، الزنج وثورتهم المنسية، دار المحبة البيضاء، ط 1، بيروت، ص 15.
- 3- عماد الدين إسماعيل أبي الفداء، (1968)، المختصر في أخبار البشر، الجزء 1، تحقيق الدكتور، محمد زينهم محمد عزب، مكتبة المثني، بغداد، ص 95.
- 4- أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، (1998)، تنوير الغبش في فضل السودان والحبش، تحقيق مرزوق علي إبراهيم، دار الشريف للنشر والتوزيع، ط 1، الرياض، ص 40.
- 5- ول ديورانت: قصة الحضارة، حياة اليونان، ترجمة محمد بدران، الجزء 2، من المجلد 2، دار الجيل، لبنان، ص 62.
- 6- زيد خلدون جميل، لماذا شرع أرسطو العبودية والعنصرية في اليونان القديمة؟ القدس العربي، اطلع عليه يوم: 30 . 04 . 2020 <https://www.alquds.co.uk>
- 7- ك، مادهو باننيكار، (1998)، الوثنية والإسلام، تاريخ الإمبراطورية الزنجية في غرب افريقية، ترجمة، أحمد فؤاد بلبع، المجلس الأعلى للثقافة، ص 38.
- 8- محمد بن عبد المنعم الحميري، (1984)، الروض المعطار في خبر الأقطار، معجم جغرافي، حققه د. إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط 1، بيروت، ص 74.
- 9- أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، (1973)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الفكر، ط 5، بيروت، ص 83.
- 10- فاطمة قدورة الشامي، (2009)، الرق والرقيق في العصور القديمة، والجاهلية و صدر الإسلام، دار النهضة العربية، ط 1، بيروت، ص 56.
- 11- نادر كاظم، تمثيلات الآخر، (2004)، السود في المتخيل العربي الوسيط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 1، بيروت، ص 506.
- 12- أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، حديث رقم 23489، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ط 1، 2001، المجلد 38، ص 474.
- 13- فاطمة قدورة الشامي، (2009)، الرق والرقيق في العصور القديمة، والجاهلية و صدر الإسلام، مرجع سابق، ص 56.
- 14- نادر كاظم، تمثيلات الآخر، مرجع سابق، ص 529.
- 15- محمد سهيل طقوش، (2014)، تاريخ الزنج والقرامطة والحشاشين، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، بيروت، ص 19.
- 16- أحمد علبي، (2007)، ثورة الزنج وقائدها علي بن محمد، دار الفارابي، ط 3، بيروت، ص 129.
- 17- طه حسين، (1985)، ألوان، دار المعارف للطباعة والنشر، مصر، ص 164 - 165.
- 18- ابن خلدون، (2003)، مقدمة ابن خلدون، دار الفكر، ط 1، بيروت، ص 104.
- 19- المرجع نفسه، ص 108.
- 20- المرجع نفسه، ص 109.
- 21- David Hume , essay moral, political, and literary, 1V, Longmans, Green, and co. London ,1889, p 252.

- 22- علي أسعد وطفة: الوجه العنصري المظلم في الفلسفة الكانطية، منشور على موقع مجلة نقد وتحرير، اطع عليه يوم 7 . 06 .
https://tanwair.com/archives/15104, 2022.
- 23- فريدريك هيجل، (2008)، العقل في التاريخ، المجلد الأول من محاضرات في فلسفة التاريخ، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، ط 3، بيروت، ص 173.
- 24- المرجع نفسه، ص 173.
- 25- المرجع نفسه ص 172.
- 26- علي أسعد وطفة، الوجه العنصري المظلم في الفلسفة الكانطية، https://tanwair.com/archives/15104، مرجع سابق
- 27- فريدريك هيجل: العقل في التاريخ، مرجع سابق، ص 174.
- 28- المرجع نفسه، 178.
- 29- المرجع نفسه، 183.
- 30- غوستاف لوبون، (1957) السنن النفسية لتطور الأمم، ترجمة، عادل زعيتير، دار المعارف، د ط، مصر، ص 48.
- 31- المرجع نفسه، ص 10.
- 32- أدولف هتلر، كفاحي، (1975)، دار الكتب الشعبية، ط 2، بيروت، ص 61.
- 33- صفات سلامة، جيمس واطسون والتصريحات المثيرة ومسؤولية العلماء، صحيفة الشرق الأوسط، العدد، 10564، الصادرة يوم، 31 أكتوبر 2007، النسخة الإلكترونية، الموقع الرسمي للجريدة http://www.aawsat.com/default.asp
- 34- فرانسيس فوكوياما، (1993) نهاية التاريخ وخاتم البشر، ترجمة حسين أحمد أمين، مركز الأهرام للترجمة والنشر، ط 1، القاهرة، ص 137.
- 35- فريدريك هيجل، (2006)، فينومينولوجيا الروح، ترجمة ناجي المونلي، المنظمة العربية للترجمة، ط 1، بيروت، ص 193.
- 36- فرانسيس فوكوياما، نهاية التاريخ وخاتم البشر، مرجع سابق، ص 142.
- 37- وليمو. لامبرت. وولاس إ. لامبرت، (1993)، علم النفس الاجتماعي، ترجمة سلوى الملا، دار الشروق ط 2، القاهرة، ص 206.
- 38- عبد القادر طه، (1988)، علم النفس وقضايا العصر، دار المعارف، ط 5، القاهرة، ص 298.
- 39- فرانسيس فوكوياما، نهاية التاريخ وخاتم البشر، مرجع سابق، ص 166.
- 40- أريك هويسباوم، تيرنس رينجر (2004)، ترجمة شيرين أبو النجا وآخرون، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، ط 1، جامعة القاهرة، ص 279.
- 41- أشيل ميمبي، (2018)، نقد العقل الزنجي، طوهري ميلود، ابن النديم للنشر والتوزيع، ط 1، وهران، ص 64.
- 42- الموسوعة العربية العالمية، (1999)، مادة افريقيا، ج 2، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ط 2، الرياض، ص 342.
- 43- فرانز فانون، (2004)، بشرة سوداء أقنعة بيضاء، ترجمة خليل أحمد خليل، دار الفارابي، ط 1، لبنان، ص 120.
- 44- المصدر نفسه، ص 120.
- 45- المصدر نفسه، ص 121.
- 46- أشيل ميمبي: نقد العقل الزنجي، مرجع سابق، ص 35.
- 47- المرجع نفسه، ص 191.
- 48- المرجع نفسه، 65.
- 49- فرانز فانون: بشرة سوداء اقنعة بيضاء، مرجع سابق، ص 22.
- 50- المصدر نفسه، ص 22.
- 51- المصدر نفسه، ص 28.
- 52- المصدر نفسه، ص 203.
- 53- المصدر نفسه، ص 160.
- 54- أشيل ميمبي: نقد العقل الزنجي، مرجع سابق، ص 47.

- 55- بيل اشكروفت، جاريثجريفث وهيلين تيفين، دراسات ما بعد الكولونيالية، المفاهيم الرئيسية، ترجمة أحمد الروبي، أيمن حلمي، عاطف عثمان، المركز القومي للترجمة، ص 175.
- 56- محمد الميلي، فرانس فانون والثورة الجزائرية، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، ص 17.
- 57- ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، مرجع سابق، ص 149.
- 58- المرجع نفسه، ص 149.
- 59- فرانز فانون، بشرة سوداء أفنعة بيضاء، مرجع سابق، ص 89.
- 60- المصدر نفسه، ص 90.
- 61- المصدر نفسه، ص 104.
- 62- المصدر نفسه، ص 99.
- 63- محمد الميلي، فرانس فانون والثورة الجزائرية، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، ص 128.
- 64- المرجع نفسه، ص 124.
- 65- المرجع نفسه، ص 123.
- 66- محمد محمود محمد الدابولي، فرانز فانون ومقاومة الاستعمار في أفريقيا: قراءة في جدلية العنف الثوري، المركز الديمقراطي العربي، <https://democraticac.de/?p=51063>.
- 67- محمد الميلي، فرانس فانون والثورة الجزائرية، مرجع سابق، ص 102.
- قائمة المصادر والمراجع:**
- القران الكريم:**
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ط 1، 2001.
- 1- ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن، توفي 1201م، (1998)، تنوير الغيش في فضل السودان والحيش، تحقيق مرزوق علي إبراهيم، دار الشريف للنشر والتوزيع، ط 1، الرياض.
- 2- ابن خلدون عبد الرحمن، توفي 1332م، (2003)، مقدمة ابن خلدون، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، ط 1، بيروت.
- 3- ابن منظور، توفي 1312م، (1970)، لسان العرب المحيط، دار لسان العرب، تحقيقي عبد الله علي الكبير، بيروت، المجلد الثاني.
- 4- أبي الفداء، عماد الدين إسماعيل، 1331م، (1968)، المختصر في أخبار البشر، الجزء 1، تحقيق الدكتور محمد زينهم محمد عزب، مكتبة المثنى، بغداد.
- 5- اشكروفتبيل، جاريثجريفث وهيلين تيفين، دراسات ما بعد الكولونيالية، المفاهيم الرئيسية، ترجمة أحمد الروبي، أيمن حلمي، عاطف عثمان، المركز القومي للترجمة.
- 6- بانيكار، ك، مادهو، (1998)، الوثنية والإسلام، تاريخ الإمبراطورية الزنجية في غرب افريقية، ترجمة، أحمد فؤاد بليغ، المجلس الأعلى للثقافة.
- 7- حسين طه، (1985)، ألوان، دار المعارف للطباعة والنشر، مصر.
- 8- الحميري، محمد بن عبد المنعم، توفي 1495م، (1984)، الروض المعطار في خبر الأقطار، معجم جغرافي، حققه الدكتور إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط 1، بيروت.
- 9- الشامي، فاطمة قدورة، (2009)، الرق والرقيق في العصور القديمة، والجاهلية وصدر الإسلام، دار النهضة العربية، ط 1، بيروت.
- 10- طقوش، محمد سهيل، (2014)، تاريخ الزنج والقرامطة والحشاشين، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، بيروت.
- 11- عبد القادر طه، (1988)، علم النفس وقضايا العصر، دار المعارف، ط 5، القاهرة.
- 12- علي أحمد، (2007)، ثورة الزنج وقائدها علي بن محمد، دار الفارابي، ط 3، بيروت.
- 13- فانون فرانز، (2004)، بشرة سوداء أفنعة بيضاء، ترجمة خليل أحمد خليل، دار الفارابي، ط 1، لبنان.
- 14- فرحات أميرة الشيخ رضا، (2011)، الزنج وثورتهم المنسية، دار المحبة البيضاء، ط 1، بيروت.
- 15- فوكوياما فرانسيس، (1993) نهاية التاريخ وخاتم البشر، ت حسين أحمد أمين، مركز الاهرام للترجمة والنشر، ط 1، القاهرة.

- 16- لامبرت وليم و. . وولاس إ. لامبرت، (1993)، علم النفس الاجتماعي، ترجمة سلوى الملا، دار الشروق ط 2، القاهرة.
- 17- لويون غوستاف، (1957)، السنن النفسية لتطور الأمم، ترجمة، عادل زعيتر، دار المعارف، د ط، مصر.
- 18- مبيمي أشيل، (2018)، نقد العقل الزنجي، طاهري ميلود، ابن النديم للنشر والتوزيع، ط 1، وهران.
- 19- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، توفي (956م)، (1973)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الفكر، ط5، بيروت.
- 20- مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، (1999)، الموسوعة العربية العالمية، مادة افريقيا، ج 2، ط 2، الرياض.
- 21- الميلي محمد، فرانس فانون والثورة الجزائرية، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر.
- 22- نادر كاظم، تمثيلات الآخر، (2004)، السود في المتخيل العربي الوسيط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت.
- 23- هنتر أدولف، (1975) كفاحي، دار الكتب الشعبية، ط 2، بيروت.
- 24- هوبساوم أريك، تيرنس رينجر، (2004)، ترجمة شيرين أبو النجا وآخرون، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، ط1، جامعة القاهرة.
- 25- هيجل فريدريك، (2006)، فينومينولوجيا الروح، ترجمة ناجي المونلي، المنظمة العربية للترجمة، ط1، بيروت.
- 26- هيجل فريدريك، (2008)، العقل في التاريخ، المجلد الأول من محاضرات في فلسفة التاريخ، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، ط3، بيروت.
- 27- ول ديورانت، قصة الحضارة، حياة اليونان، ترجمة محمد بدران، الجزء 2، من المجلد 2، دار الجبل، لبنان.
- 28- David Hume, essay moral, political, and literary, 1V, Longmans, Green, and co. London.

مواقع الانترنت:

- 1- الدابولي محمد محمود محمد، فرانز فانون ومقاومة الاستعمار في أفريقيا: قراءة في جدلية العنف الثوري، المركز الديمقراطي العربي، <https://democraticac.de/?p=51063>.
- 2- زيد خلدون جميل، لماذا شرع أرسطو العبودية والعنصرية في اليونان القديمة؟ القدس العربي، 30 . 04 . 2020، <https://www.alquds.co.uk>
- 3- سلامة صفات، جيمس واطسون والتصريحات المثيرة ومسؤولية العلماء، صحيفة الشرق الأوسط، العدد، 10564، الصادرة يوم، 31 أكتوبر 2007، النسخة الإلكترونية، الموقع الرسمي للجريدة <http://www.aawsat.com/default.asp>
- 4- وطفة علي اسعد، الوجه العنصري المظلم في الفلسفة الكانطية، منشور على موقع مجلة نقد وتنوير، يوم 7. 06، <https://tanwair.com/archives/15104>.